فلسفة الجمال عند كانت

مقال من إعداد- review article

م.م. علي سلمان عواد

ali.salman@uokerbala.edu.iq

جامعة كربلا / كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

في مخلص هذا المقال يجب أن نعرف أنه هناك فكرة اساسية وهي أن فلسفة الجمال هي الموضوعات الفلسفية التي أثارت أهتمام الفلاسفة على مر العصور التي مرت بها الفلسفة إذ أنطلقت من الفلسفة اليونانية مروراً بالفلسفة الإسلامية وصولاً الفلسفة الحديثة، حيث موضوع مقالنا فلسفة الجمال عند كانت.

الكلمات المفتاحية: الذوق،كانت، اللحظة.

Kant's philosophy of beauty

Mr. Ali Salman Awad

University of Karbala/ College of Education for Humanities

Abstract

In conclusion of this article, we must know that there is a basic idea, which is that the philosophy of beauty is the philosophical topics that have aroused the interest of philosophers throughout the ages that philosophy has passed through, as it started from Greek philosophy, passing through Islamic philosophy, and arriving at modern philosophy, where the subject of our article is the philosophy of beauty according to Kant.

المقدمة

إن موضوعات البحث الفلسفي كثيرة ومتشعبة، وفقا لهذا الاختلاف نجد توجها و ميولا متباينا للعديد من المفكرين و الفلاسفة لهذه الميادين، فمنهم من اختار الميتافيزيقا، و منهم من اختار فلسفة اللغة و غيرها من المباحث الأخرى، و لعل أبرز المباحث توجها لدى المفكرين " فلسفة الفن و الجمال " التي لا تكاد تنفصل عن الفلسفة، إذ تستمد أصولها من مذاهب الفلاسفة أو تنعكس على هذه المبادئ فتضيء جوانبها، و قد ارتبطت فلسفة الجمال قديما بنظريات الكون و الإلهيات، إلا أنها على مدى التاريخ اقتربت من نظريات الأخلاق و التربية، و نجد من بنٌ

الفلاسفة الذين اهتموا بهذا المبحث و أفردوا لو كتابات عديدة الفيلسوف اليوناني " أفلاطون" ، باعتباره أول الفلاسفة الغربينٌ الذين تناولوا فكرة الجمال بالدراسة العميقة، و كان أول فيلسوف يوناني يهتم بتسجيل موقف معنٌ من ظاهرة الجمال مثار جدل على مر العصور، إذ نجد العديد من المفكرين عنوا بدراسة النظرية الجمالية عند أفلاطون، و لم يحدث نقاش بينهم بقدر ما حدث صراع حول طبيعة هذه النظرية، أسسها، و منابج البحث فيها، و لعل بذا ما يدل على درجة التعقيد التي تتسم بها هذه النظرية، إذ نجد العديد من الباحثينٌ أقروا بعدم وجود نظرية في الفن و الجمال عند أفلاطون، على عكس تلميذه أرسطو الذي جاءت نظريته الجمالية بطريقة منظمة في كتاب الشعر. ومن ثم جاء الدور الى الفلسفة الحديثة عند كل من كانت وهيجل، وفي ضوء الحديث على فلسفة كانت الجمالية وهو ما يدور عليه مقالنا نجد أن انطلق أيضاً منطلقاً ميتافزيقياً فلسفياً في آراؤه الفنية، إذ حاول أن يطبق المبادئ الفلسفي على المباحث الجمالية كما فعل الفلاسفة القدماء، أي فلاسفة اليونان على اعتبار أن الفن هو احد مباحث الفلسفة، وهو أحد وسائل المعرفة. إذ تناول المقال محورين هما ١-حكم الذوق٢ – تقسيم الفنون

المحور الأول: حكم الذوق:.

حكم الذوق هو حكم جمالي لكي نميز الشيء هل هو جميل او غير جميل فإننا لا نعيد تمثل الشيء الى الذهن من اجل المعرفة بل الى مخيلة الذات وشعورنا باللذة والالم ومن هنا فان حكم الذوق ليس حكم معرفة وبالتالي ليس منطقيا بل جمالي ونعني بذلك ان المبدأ الذي يعنيه لا يمكن ان يكون ذاتيا. وكل رابطة تمثلات حتى رابطة الاحساسات يمكن ان تكون موضوعية ونعني عندئذ ما هو واقعي في تمثل تجريبي اما رابطة التمثلات بالشعور باللذة والالم فليست كذلك انها لا تدل على شيء في الموضوع نفسه وانما تشعر فيها الذات بانها متأثرة بالتمثل[١].

فالحكم الذي نصدره على الجمال لا بد من ان يقترن بضرب من الشعور بالرضا او الارتياح ولكن الرضا الذي يحققه لنا الشيء الجميل يختلف بطبيعته عن الرضا او الارتياح الذي قد يحققه لنا الشيء الملائم او الشيء الحسن او الشيء النافع فالملائم هو ذلك الشيء الذي يسبب لنا لذة نستشعرها عن طريق الحواس وهو بهذا يعد ذاتيا صرفا[٢]. يخضع الحكم الجمالي لشروط مفروضة من الذات لا العكس وهذه الشروط تجعل الحكم أكثر من الناحية الموضوعية والمنطقية ذلك لأنه يجعل الحكم ينتقل من الخاص الى العام فهو حكم ذاتي ضمن إطار شمولي وهذه الشروط هي اللحظات الأربع والتي لا بد لكل حكم جمالي نزيه أن يخضع لها: .

١ – **اللحظة الأولى:**(الحكم على الجميل وفقا للكيف): .

أن حكم الذوق أو الحكم بالجميل هو حكم مجرد من المنفعة و أنه يختلف عن الأحكام المتعلقة باللذيذ أو الخيروفرق كانط بين اللذيذ أو الرائق وبين الجميل وعلى أساس أنه وإن كان كلاهما يسبب لذة معينة إلا أن اللذيذ يكون وراء منفعة أو له تأثير حسن على الحواس كذلك

فإن الرضى أو اللذة المستمدة من الخير تتعلق بدورها أيضا بمنفعة ما تتعلق بالإرادة أو العمل، أما الجميل فهو تأمل صرف بمعنى أن اللذة التي نحس بها عندما نتأمله هي لذة تأملية خالصة تختلف عن اللذات الناتجة عن إرضاء أي حاجة بيولوجية أو تحقيق أية غاية عملية، إنها لذة الاحساس بالشكل بدون رغبة في امتلاك الشيء أو الانتفاع به فالذوق هو ملكة الحكم على شيء ما او أسلوب ما من أسالي التمثيل بواسطة الشعور باللذة أو الألم على نحو خال من أي منفعة وموضوع هذه اللذة هو الذي نسميه بالجميل(٣).

٢. **اللحظة الثانية:(** الحكم على الجميل وفقا للكم**)**:.

يؤكد كانط أن هذا الحكم له طابعا كليا وهذا الشرط الثاني المتعلق بالكم يحدد الجميل بأنه ما لنا بطريقة كلية وبلا تصور عقلي وهذا الطابع الكلي لا يرجع إلى الموضوع بل الى الذات، ولكنه لا يعنى أنه يعتمد على الرأي الشخصي، بمعنى أنه إذا ما تعلق الأمر باللذيذ أو الرائق يجوز أن يرتكن كل شخص إلى ذوقه الخاص، أما بالنسبة للجميل فليس الحال كذلك إذ لا يكفى أن يروق لي شيء حتى أصفه بالجمال فوصف شع معين بالجمال يستلزم أن يكون كذلك بالنسبة للغير أيضا ذلك أن الكل مطالبون بالمرافقة عليه.

٣. اللحظة الثالثة:(الحكم على الجميل وفقا للجهة**)**:.

أي من حيث الامكان والضرورة تبين أن لحكم الذوق ضرورة خاصة به بمعنى أن هناك علاقة ضرورية بين الجميل والشعور باللذة. فهي تختلف من هذه الناحية عن الضرورة النظرية المستمدة من قوانين العقل الأولية كما تختلف عن الضرورة العملية ولأنها ضرورة نموذجية لأننا في حكمنا على الجميل نحس بنوع من الالزام غير المعتمد على التصورات العقلية ولا على السلوك العملي بل على الذوق العام أو الحس ووجود هذا الحس المشترك يسمح لنا بتفسير الأعمال الفنية النموذجية تفسيرا يجعل منها نماذج تحتذى في كل زمان ومكان.

٤. اللحظة الرابعة:(الحكم على الجميل وفقا للعلاقة بالغايات**)**:.

ان الحكم الغائي هو ما يحدث لذة ترجع إلى الملائمة بين شيء معين وغاية خارجية كأن يلائم طعام معين شهيننا للأكل، أو يلام شيء معين فكرة او تصورا معينا ففي كلا الحالين يمكن أن نقول إن الشيء ملائم لغرض أو غاية معينة، أما الجميل فإنه يقدم لنا مثالا لهذه الملائمة لكنه يختلف عن الحالين السابقين لأنه لا يلائم رغبة حسية ولا يرضي حاجة و لا يحقق منفعة ولا يطابق تصورا عقليا ومن هنا فهو يتصف بانه يوحي بالغاية بغير ان يتعلق بغاية محددة، ومن خلال تحديد كانط للشروط الاولية لحكم الذوق يفرق بين نوعين من الجمال: الجمال المقيد والجمال الحر، فالجمال المقيد يفترض ما ينبغي ان يكون عليه وان يتطابق معه , واما الجمال الحر فهو لا يفترض مسبقا ما ينبغي ان يكون عليه الجميل ومن امثلته الزخارف الاغريقية او تصميم ورق الحائط وغير ذلك(٤).

اتبع كانط تحليله للجميل بتحليله للجليل، وقد عاد كانط في كتابه نقد الحكم إلى ما سبق أن ذكره من تفرقة بين الجميل والجليل في كتاب سبق نشره بعنوان ملاحظات حول الشعور بالجميل والجليل، ويرى كانط أن الجليل شأنه شأن الجميل من حيث انه يتضمن نفس الشروط الأولية لحكم الذوق من حيث تنزهه عن المنفعة واتصاف الحكم عليه بالكلية ولا ضرورة غير أنه في حين يستند الجميل إلى اتفاق المخيلة مع الذهن ويتجه إلى المعرفة العقلية نجد أن الجليل يستند إلى اتفاق المخيلة مع الذهن ويتجه إلى المعرفة العقلية نجد أن الجليل يستند إلى اتفاق المخيلة مع العقل فيكون أكثر اتجاها إلى مجال الأخلاق.ويتفق الجميل والجليل في انهما يبعثان في الانسان اللذة أو الرضاء بذاتها ولا يستندان إلى الاحساس مثل اللذيذ ولا التصور العقي مثل الخير، ويختلف الجميل عن الجليل في انه يوجد دائما فيما هو محدود وما يبعث على فكرة اللانهاية، في الجليل يرتبط سرورنا بالكيف في حين يرتبط سرورنا بالجميل بالكم، ويتميز الجميل بأنه يثير قوانا الحيوية فيقترن بلعب الخيال, اما الجليل فيتميز بانه يثير فينا الشعور بتوقف هذه القوى الحيوية ثم يتبع ذلك انطلاقها ونوع الارتياح أو السرور الذى نحس به نحو الجليل هو القداسة أو الاعجاب، وفى حين يوحى الينا الجميل الطبيعي الشعور بنظام الطبيعة، نجد أن الجليل بوحى إلينا باضطرابها، ويثير الجليل في النفس حركة ما أن ترتبط بالمعرفة فتولد الجليل الرياضي وإما أن ترتبط بالإرادة فتولد الجليل الديناميكي،أي ان للجليل صورتان : صورة رياضية ثباتية أو استاتيكية وصورة حركية ديناميكية(٥).

المحور الثاني: تقسيم الفنون:.

يستند "كانط" في تقسيمه للفنون الجميلة الى أسلوب التعبير المستخدم في كل فن من اجل توصيل الانطباعات الجمالية الى الآخرين، ان وسائل التعبير التي يلجأ اليها البشر في كلامهم كي يتواصلوا بين بعضهم البعض على اكمل وجه ممكن أي ليس فقط المفاهيم بل بتبادل المشاعر ايضا ووسائل التعبير الكلمة والحركة والنغمة، ووحدة الربط بين هذه الانواع الثلاثة من التعبير هو الذي يتيح للمتكلم ان يبلغ بشكل كامل. لان الفكرة و العبارة والاحساس تنتقل بواسطتها الى الاخر في الوقت نفسه، ولا يوجد اذن الا ثلاثة انواع من الفنون الجميلة فن القول، فن التشكيل، وفن لعبة الاحساسات وباستطاعتنا ايضا ان نقوم بهذا التقسيم ثنائيا وعندئذ ينقسم الفن الجميل الى فن التعبير عن الافكار او عن العيانات وقد تقسم هذه بدورها بحسب صورتها فقط او بحسب مادتها (الاحساس) غير ان هذا قد يبدو عندئذ شديد التجريد وغير ملائم بما يكفي للمفاهيم المألوفة(٦).

ان الفنون التشكيلة هي الفنون التي تعبر عن الافكار بحدوس حسية وهي تنقسم الى :.

١. فنون تجسيمية تعبر عن الحقيقة الحسية كالنحت والمعمار.

٢. فنون تصويرية تعبر عن المظهر الحسي كفن التصوير (بالمعنى الدقيق) وفنون تجميل البساتين وندرك النوع الاول من الفنون التشكيلية بواسطة حاستين اولهما البصر واللمس في حين اننا لا ندرك النوع الثاني الا بواسطة حاسة واحدة فقط الا وهي البصر ولان كان النحت والمعمار فنيين تجسيميين، الا ان ثمة فارقا اساسيا يفصل بينهما لان النحت يقدم لنا بطريقة مادية (اوجسمية) موضوعات يمكن ان توجد في الطبيعة في حين المعمار يقدم لنا موضوعات ليست ممكنة الا بفعل الفن نفسه.

وكانط يؤمن بإمكان اتحاد الفنون الجميلة كلها في انتاج واحد بعينه. و ولكننا نراه مع ذلك يقيم موازنة بين مختلف انواع الفنون الجميلة فيقرر اعظمها هو الشعر ويليه الموسيقى ثم التصوير.

ولان كانت فيلسوفا قد نظر الى الفنون من جهة صورية صرفة فحكم عليها من حيث الشكل لا من حيث الموضوع الا اننا نراه مع ذلك يدخل في حسابه عن الحكم على القيمة لكل من الفنون بعض الاعتبارات الاخلاقية والنفسية فيقرر مثلا الشعر يربي المخيلة ويوسع من افاق الذهن ويمدنا بما لا حصر له من الافكار والاحساسات التي تولدها الموسيقى لا تعدو ان يكون مجرد انطباعات عابرة في حين ان الاحساسات التي تولدها الفنون التشكيلية هي انطباعات دائمة[٧].

الخاتمة

١- يعد الفن الموضوعات المهمة في جانب المعرفة وفي جانب الفلسفة أذ يشكل الفن فرعاً مهماً من فروع الفلسفة ومبحثاً ضروريا من ضروريات علم الجمال.

٢- نجد علم الجمال يحتكم في بناءه المعرفي الى قواعد وقوانين معينة على العكس من الفن الذي يمكن أن يرسم لنا الفنان لوحة فنية من واقع الخيال وليس مستنداً الى قواعد وشروط معينة.

٣- وجدنا أن الفن والجمال مبحث قديم سواءً في الحضرات القديمة كالرافدينية والنيلية واليونانية، وايضا اصبح الفن سمه من سمات الفلسفة اليونانية واحد وسائل المعرفة.

٤- كذلك نجد الفن حاضرا في الفلسفة الحديثة والمعاصرة فنجده مثلاً في فلسفة كانت

٥- نجد الفن حاضراً في فلسفة كانت ، وتعتبر فلسفة الفن حلقة في مذهبة الفلسفي العام مثلها مثل الدين والتاريخ، فهي تتجه الى الجمال والى الحقيقة والى الألوهية فيفسر أتجاهها هذا عن الفن والفلسفة والدين.

هوامش ومصادر المقال

(١)عمانويل كانط :نقد ملكة الحكم، ص١٠١.١٠٢.

(٢) زكريا إبراهيم: كانت او الفلسفة النقدية، ص١٧٩.١٨٠.

(٣) اميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال اعلامها ومذاهبها، ص١١٢.

(٤)اميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال اعلامها ومذاهبها، ص١١٢. ١١٥.

(٥)المصدر نفسه:ص١١٦.

(٦) زكريا إبراهيم :كانت او الفلسفة النقدية ، ص١٩٨. ٢٠٢.

(٧) زكريا إبراهيم : كانت او الفلسفة النقدية: ص٢٠٤. ٢٠٥.

Article footnotes and sources

1-Immanuel Kant: Critique of Judgment, pp. 101-102.

2-Zakaria Ibrahim: Kant or Critical Philosophy, pp. 179-180.

3-Amira Helmy Matar: The Philosophy of Beauty, Its Figures and Schools, p. 112.

4-Amira Helmy Matar: The Philosophy of Beauty, Its Figures and Schools, pp. 112-115.

5-The same source: p. 116.

6-Zakaria Ibrahim: Kant or Critical Philosophy, pp. 198-202.

7-Zakaria Ibrahim: Kant or Critical Philosophy: pp. 204-205.